من العبادات الأكثر رسوخاً في حياة الموريسكيين صيام رمضان وعيد الفطر المبارك "دراسة تاريخية"

أ.م.د. قيس فاروق صالح مطلوب

كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة تكريت

الكلمات المفتاحية: الاندلس، الموريسكيون، محاكم التفتيش، اسبانيا النصرانية .

الملخص:

من خلال هذا الموضوع سأقوم ان شاء الله تعالى بتسليط الضوء على محنة طائفة من المسلمين عاشت دهراً طويلاً في أرض الاندلس التي كانت إسلامية طوال ثمانية قرون من الزمان (92_897هـ/1492م). إذ غلب النصارى الاسبان عليها في عام (897هـ/1492م) فساموهم سوء العذاب وأرغموهم على تأدية الشعائر النصرانية كالتنصّر واعتقاد الكفر والتثليث وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر والتسمّي بالأسماء النصرانية ولباس الزي النصراني. كما وأجبروهم على التنصّل من اعتقادات المسلمين كلها، والتخلي عن المظاهر الإسلامية الظاهرة منها والباطنة. وكانوا يحكمون على من خالف ذلك كله بالموت شنقاً أو حرقاً أو بالسجن المؤبد أو المؤقت أو بمصادرة الأموال، وغيرها من العقوبات الصارمة التي كانت تحويها لائحة الإرهاب النصراني سيئة الصيت المعروفة عبر التاريخ بأسم (محاكم التفتيش).

وقد أطلق النصارى الأسبان على هذه الطائفة من المسلمين الذين بقوا في الاندلس بعد سقوطها بيدهم اسم (الموريسكيون Moriscos) أي المسلمون الصغار تمييزاً لهم وتصغيراً من شأنهم، كما أطلقوا عليهم اسم (النصارى الجدد Cristianos nuevos) .

كما سنتناول بالدراسة والتحليل حياة هؤلاء الاشخاص المغلوبين على امرهم ، والذين عاشوا في أرضهم ومستقرهم كنصارى ظاهراً ومسلمين باطناً. وسنركز بالدرجة الاساس على صيام شهر رمضان والاحتفال بعيد الفطر المبارك كون هاتين العبادتين الأكثر تأصلاً في حياتهم، وكونها أكثر عبادة يحافظ عليها الجميع، فهي لذلك آخر مظهر إسلامي من حيث التلاشي والانتهاء في الاندلس آنذاك. وسنحاول ان نجيب عن بعض التساؤلات والاستفسارات التي تدور في ذهن القارئ لتاريخ هذه الفئة من المسلمين وما كانوا يعانونه من شدة ومحنة من

اجل صيام شهر رمضان والاحتفال بعيد الفطر المبارك من غير ان يلحقهم اذى النصارى وأحكامهم القاسية، والتي تجاهلها وغض البصر عنها الكثير من المؤرخين والباحثين.

المقدمة:

كما هو معروف للباحثين في التاريخ الاندلسي بشكل عام ان موضوع الموريسكيون (المسلمون المُنَصّرون قسراً) واحوالهم الاجتماعية في الاندلس بعد احتلالها بالكامل عام 897هـ/1492م من قبل الممالك الاسبانية الشمالية النصرانية يعد من الموضوعات المهمة والملفتة للنظر التي لم تحظَ باهتمام وعناية الدارسين والباحثين في التاريخ الاندلسي، وان كانت هناك دراسات ناقشت بجدية موضوع الموريسكيون وبحثت فيه بعمق، الا انه كان بحثًا بشكل عام في جوانب الحياة السياسية واوضاعها، دون التطرق الى جوانب الحياة الاقتصادية والفكرية والاجتماعية والدينية، كدراسات عادل بشتاوي، ومحمد عبدة حتاملة، وعبدالجليل التميمي.

وهو ما سبّب بطبيعة الحال قلة معيبة ونقص فادح في الدراسات التي تناقش هذا الموضوع المهم وتبحث فيه، وذلك بسبب قلة المعلومات عن هذه الفئة وندرتها في المصادر العربية والاسلامية، سيما المعاصرة لها، زيادة على ان اغلب الاشارات والتفصيلات عن حياة الموريسكيين واحوالهم في الاندلس عقب احتلالها بالكامل من قبل الاسبان نجدها في المصادر والكتب الاجنبية كالإسبانية والفرنسية والبرتغالية والتي فصلّت القول في اوضاعهم واحوالهم، كما وجاءت بوثائق ومعلومات دقيقة ونادرة عنهم، وبالتأكيد نعلم جميعاً الصعوبات التي تواجه معظم الباحثين في الحصول على تلك المصادر ومحاولة الظفر بها او حتى جزء منها، سواء أكان قديمًا ام حديثًا .

ومهما يكن من امر فدراسة احوال الموريسكيين الاجتماعية بشكل عام، والخوض في موضوع ممارستهم لعباداتهم وشعائرهم الدينية بشكل خاص سيما موضوع (صيام شهر رمضان والاحتفال بعيد الفطر المبارك) والبحث فيها يعد من الموضوعات المهمة والمميزة التي تكشف لنا عن الأوضاع المزرية التي عاش فيها اولئك المسلمين المضطهدين من قبل الحكومة الاسبانية، ومدى السوء الذي لحق بهم جراء اساليب محاكم التفتيش _ سيئة الصيت_ التي اجبرتهم قسرًا وبالقوة على اعتناق النصرانية، إذ تكشف لنا مدى القبح الذي كانت عليه الحكومة الاسبانية دون استثناء، متمثلة بشكل خاص بملكيها ايزابيلا وفرديناند، إذ قابلوا الاحسان بالسوء، والخير بالشر ، كما وتوضح لنا حجم القسوة والحقد الذي كان الاسبان يكنه للمسلمين بشكل عام وان كانوا من ابناء جلدتهم، ذلك ان معظم الموريسكيين الذين بقوا في البلاد ابان احتلالها بالكامل لم يكونوا عربًا فقط إذ هم حينها قلة قليلة، وانما كان اغلبيتهم من ابناء اسبانيا الاصليين الذين اعتنقوا الاسلام ودخلوا فيه ابان حكم العرب لهم

من هذا المنطلق ظهرت هذه الدراسة التي تناقش وتبحث في هذا الموضوع لتلقي الضوء على النهج الذي سار عليه الموريسكيين في اقامة عباداتهم وشعائرهم الدينية بسرية تامة، دون تعرضهم للتعذيب الذي كان سيفضي في نهاية الامر الى القتل، والخوض في مقوماته لغرض تجميع جزئياته وترتيبها وفق عرض نظري واحد، يهدف الى التعرف على مضمون ومحتوى تلك الممارسات التي ما زالت شاهدة حتى اللحظة على مدى تمسك الموريسكيين بدينهم (الاسلام) والمعاناة في سبيله.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مبحثين الاول بحثنا فيه اولية الموريسكيين واحوالهم وسياسة الاسبان تجاههم، اما الثاني فناقشنا فيه ممارساتهم في صيام شهر رمضان المبارك وعيد الفطر.

المبحث الاول

نظرة عامة عن الموريسكيين

(التسمية والتاريخ)

بعد تاريخ حافل وطويل للمسلمين في الاندلس تجاوز الثمانية قرون (92–897هـ/71–1492م)[1] آذنت تلك الدولة بالانهيار والسقوط ثم الزوال، إذ شن النصارى الاسبان حربا معاكسة بعد ان دب الضعف في دولة الاسلام في الاندلس واخذوا باسقاط المدن الاندلسية الواحدة تلو الاخرى، وبعد مقاومة المسلمين لردح طويل من الزمن وبعد سجال طويل بين الطرفين تمكن النصارى من اسقاط جميع المدن الاندلسية آخرها مدينة غرناطة التي كان سقوطها هو نهاية الحكم الاسلامي لذلك البلد دون انتهاء وجودهم، الا ان النصارى الاسبان لم يكتفوا بزوال تلك الدولة فحسب، بل اعلنوها حربا عقائدية على من بقي من مسلمي الاندلس، فكانت بمثابة هجمة شرسة على فئة مستضعفة عرفت تأريخيا بالموريسكيين. فمن هم ؟ ومن أين جاءت تسميتهم؟ وما هو تأريخهم؟ هذا ما سنتعرف عليه في الصفحات التالية:

اولا/ التسمية :

قبل الشروع في بيان التسمية التي اطلقت على مسلمي الاندلس بعد سقوط غرناطة، يتوجب علينا ان نوضح للقارئ وننوه لوجود لبس حول مصطلح (الموريسكيون) وهذا اللبس متأتي من ورود تسمية اخرى وهي (المدجنون) فهل هناك فرق بين التسميتين؟ ام انهما مصطلحان مختلفان يطلقان على الفئة نفسها التي بقيت في الاندلس بعد سقوطها سنة 897هـ/1492م؟من خلال البحث اتضح لنا ان هناك فرق بين (موريسكي) و (مدجن) فالمدجنين هم كل المسلمين الذين فضلوا البقاء في مواطنهم بعد حركة الاسترداد وعرف هؤلاء بـ (الدجن)[2] وهو مصطلح اطلق على من لم يغادر المكان، والاسبان اطلقوا عليهم

تسمية (الموديخار) وهي كلمة محرفة عن المدجن. وبعد سقوط الاندلس استبدل هذا المصطلح بـ (موريسكس Moriscos) وعلى ذلك فالمدجن هو المسلم الذي عاش تحت حكم الممالك النصرانية منذ سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م[3] الى سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م[4] اما مصطلح (الموريسكيون) فهي التسمية التي اطلقت على المسلمين الذين بقوا في الاندلس بعد سقوطها بيد النصارى الاسبان، وكان الظهور الاول لها بعد صدور مرسوم التنصير القسري الذي صدر سنة 1502م[5] اي بعد حوالي عشرة سنوات من سقوط الاندلس، وعلى ما يبدو ان النصارى حنثوا بوعودهم التي قطعوها للمسلمين بموجب معاهدة التسليم، او انهم امتعضوا من ممارسات المسلمين الدينية التي لا تروق للنصارى لا سيما وانهم سيطروا على الاندلس واصبحوا الحكام الفعليين له والمتنفذين فيه، فكان ذلك المرسوم قرارا حاسما من قبلهم بعدم قبول اي شكل من اشكال الوجود الاسلامي في الاندلس لا من حيث الممارسات الدينية ولا اللباس ولا العادات والتقاليد ، الى غير ذلك مما يمت للاسلام والمسلمين بصلة، وربما كانت نيتهم في ذلك مبيتة حتى قبل توقيع معاهدة تسليم غرناطة.

على ان تسمية البقية الباقية للمسلمين في الاندلس جاءت بصيغ عدة فمنهم من اوردها بصيغة (موروس) اي المغاربة[6] وهناك من ذكرهم بصيغة الموريسكيين Moriscos التي تعني المسلمين الاصاغر او العرب المتنصرين[7] وهناك من سماهم الاندلسيون المواركة وهي تعريب عن كلمة Moriscos القشتالية التي تعني النصارى الجدد او النصارى الصغار[8] زيادة على مسميات اخرى تم تفسيرها وبيان مدلولاتها بمعانٍ شتى[9] ومهما يكن من امر ومهما تعددت المسميات فهي تدل في نهاية الامر على المسلمين الذين بقوا في الاندلس بعد ان سيطر عليها النصارى الاسبان، ليكتب تأريخ جديد للمسلمين في ذلك البلد الذي حكموه لمدة طويلة ومارسوا فيه عاداتهم وتقاليدهم وشيدوا فيه المباني والصروح الشامخات ، وعاشوا فيه كمسلمين لهم شعائرهم الدينية الخاصة بهم والتي حتم عليها الدين الاسلامي، فتغير الحال بعد سقوط دولة الاسلام لتبدأ سلسلة من المضايقات لفئة مغلوب على امرها ولم يكتف النصارى بذلك بل ارادوا التخلص من الوجود الاسلامي بشكل نهائي، وما يهمنا في الامر هو التعرف على تاريخ المسلمين بعد السيطرة الاسبانية والتعرف قدر الامكان على احوالهم وحياتهم.

ثانيا/ التاريخ:

يبدأ التاريخ الموريسكي بشكل فعلي بعد ان اصبحت الاندلس خارج حكم المسلمين وليس للمسلمين سلطة فيها بعد ان تم تسليم غرناطة بموجب معاهدة التسليم المعقودة بين النصارى الاسبان متمثلين بفرناندو وايزابيلا وبين المسلمين بزعامة ابي عبدالله الصغير سنة

897هـ/1492م، وبذلك كانت اوضاع الموريسكيين مرهونة بما يراه النصارى الاسبان لهم وبما يفرضونه عليهم. فكانت تلك الفئة تحاول ان تتعايش مع الواقع الذي فرض عليها رغم المضايقات التي سيتعرضون لها من قبل النصارى الاسبان بعد انشاء ما يعرف بـ (محاكم التفتيش)[10] التي اخذت تضيق على المسلمين المتبقين هناك، وهذا ما يتعارض مع شروط تسليم غرناطة التي كان منها:(احتفاظ المسلمين بشريعتهم وقضائهم، وتأمين حرية الدين والشعائر والحفاظ على المساجد والاوقاف، ان لا يقهر مسلم او مسلمة على التنصر) زيادة على بنود اخرى تعهد فيها النصارى الاسبان بعدم التعرض لما يسيء للمسلمين وعقائدهم وحياتهم التي اعتادوها بشكل عام[11]. وبذلك فان مصيبة المسلمين لم تنته بسقوط الاندلس فحسب، بل كان عليهم ان يقاوموا الاضطهاد الذي سيتعرضون له جراء نقض النصارى لعهودهم ومواثيقهم التي قطعوها للمسلمين بموجب معاهدة تسليم غرناطة[12] .

لم يقابل النصارى الاسبان المسلمين بالإحسان، اذ ان المسلمين لم يتعرضوا لهم بالأذى منذ عمليات الفتح الاولى الى نهاية وجودهم بل انهم في اوج قوتهم وتمكنهم كانوا يحسنون الى اهل البلاد المفتوحة ولا يتعرضون لهم ولشعائرهم ودور عبادتهم بسوء وهذا حال المسلمين على مر العصور، على عكس اعدائهم الذين يتحينون لهم الفرص ليفتكوا بهم. وهذا لا يخفى على المسلمين الذين كانوا يحاولون اتقاء شر أعدائهم بإبرام العهود والمواثيق في محاولة لاتقاء شرهم ومن ذلك معاهدة تسليم غرناطة التي لم تحل دون طغيان النصارى وخيانتهم، اذ سارع فرديناند وإيزابيلا لنقض بنود تلك المعاهدة والتنكيل بمن بقي من مسلمي الاندلس[13].

ومهما يكن من امر فان الاندلس اصبحت تحت سيادة الاسبان الذين تسلموا الحكم بعد صراعات طويلة مع المسلمين كان اخرها استيلائهم على غرناطة التي بسقوطها خرجت جميع اراضي شبه الجزيرة الايبيرية عن سلطان المسلمين وسيطرتهم .

قام الاسبان فور استيلائهم على غرناطة بتشتيت وتفريق المسلمين وعزلهم الى جماعات متباعدة عن بعضها البعض، كما قاموا بتوزيع اراضيهم على النبلاء الاسبان وجعلوا المسلمين عاملين عندهم في هذه الاراضي، وكان هذا العمل تجنبا لأي حركات او ثورات ربما يقوم بها المسلمون فيما بعد، وجمعهم هذا وبأعداد كبيرة قد يغريهم بمحاربة الاسبان واسترداد اراضيهم المسلوبة، فكان تفريقهم قصدا لإضعافهم وتشتيت وحدتهم والسيطرة عليهم، الا ان هذه الاجراءات زيادة على الاجراءات التعسفية التي اتبعتها محاكم التفتيش كانت سببا في الثورة ضدهم[14]

لم تكن هذه الاجراءات لتمر مرور الكرام، فالضغط الذي مورس من قبل الاسبان ضد المسلمين ضيق عليهم كثيرا فثارت فيهم دماء الثورة التي كانت شرارتها الاولى اعتداء رجال الشرطة على امرأة مسلمة في حي البيازين، انتصر لها المسلمين وقتلوا رجل الشرطة المعتدي

ثم ساروا الى قصر الحمراء واختاروا اربعين رجلا ممثلين عنهم وقام الثوار بأغلاق الطرقات ورمي الحملات العسكرية المتوجهة لفض الثورة بالحجارة[15] الا ان الاسبان عملوا على تهدئة الوضع ووعدوا بالاقتصاص من الجناة وان الامر لن يتكرر مرة ثانية، لكن المسلمين لن تنطلي عليهم الاعيب الاسبان المعروفة فهرب معظمهم الى البشرات واختبأ البعض الاخر بعيدا عن اعين الاسبان[16] وهكذا انتهت ثورة غرناطة .

بعد ثورة غرناطة كانت هناك بوادر ثورة اخرى في منطقة البشرات التي تجمع فيها المسلمون الذين فروا من بطش النصارى في غرناطة مع غيرهم من المناطق الاخرى[17]، الا ان السلطات الاسبانية توجهت الى منطقة البشرات بقيادة تنديا ثم لحقهم الملك فرديناند مع قوات اخرى فاخذوا باحراق القرى التي كانت في طريقهم والتي هجرها رجالها مخلفين ورائهم النساء والاطفال الذين واجهوا مصيرهم في القتل باساليب وحشية ودون رحمة[18]، ثم خرجت حملة اخرى من المرية باتجاه البشرات وهذه الحملات مجتمعة اوقعت خسائر كبيرة في صفوف الموريسكيين الذين اضطروا في نهاية الامر الى الاستسلام فاخمدت الثورة في البشرات وفي جميع المناطق المجاورة لها[19] .

ترتب على الثورات الموريسكية نتائج خطيرة ومهمة ابرزها هو صدور مرسوم التنصير سنة 1502م بحق من بقي مسلمي الاندلس، وبذلك فرض التنصير على المسلمين فرضا، فاصبح الموريسكيون امام قرارهم المحتوم اما التنصير القسري او التهجير من الاندلس ولا خيار ثالث لهما [20]، ورغم الاستغاثات التي بعث بها الموريسكييون الى السلطان العثماني بايزيد والسلطان المملوكي قانصوه الغوري وقبلهما الى المغرب الا انها لم تجد نفعا فكان على الموريسكيين القبول بالامر الواقع فانقسموا بذلك الى قسمين الاول منهما فضل البقاء في الاندلس فتنصر بالظاهر مؤثرا البقاء في البلاد التي عاش فيها واحبها، اما الثاني فلم يرض بحياة الذل والتنصر فهاجروا الى بلاد المغرب والشام وحتى الى اميركا مع الرحلات الاستكشافية[21].

المبحث الثاني

صيام شهر رمضان وعيد الفطر المبارك

لم يكن من المؤمل من الاسبان بعد كل ما فعلوه بالمسلمين ان يتركوهم احرارا في ممارسة شعائرهم الدينية واقامة طقوسهم الاسلامية وعاداتهم وتقاليدهم التي اعتادوا عليها، اذ ان نواياهم كانت واضحة منذ البداية وان حقدهم لم يكن خفيا فبدأوا بالتضييق على المسلمين من النواحي كافة الدينية كالصلاة والصيام والاعياد والاجتماعية كالزواج والاحتفال واللباس الى غير ذلك من العادات والتقاليد الاندلسية المعروفة.

فما ان دخل الاسبان غرناطة حتى بادروا الى تحويل مسجدها الى كنيسة، وفعلوا مثل ذلك في مسجد البيازين الذي حولوه الى كنيسة ومدرسة باسم (كنيسة المخلص) واجبروا الناس على التنصر القسري ولبس السراويل والقبعات، كما اجبروهم على ترك لغتهم وتقاليدهم واسمائهم العربية، وحملوهم على اعتناق المسيحية واستعمال اللغة والتقاليد والاسماء الاسبانية[22] .

ولم يكتف الاسبان بذلك فاصدروا سنة1501م امرا يحرم على الموريسكيين ممارسة اي عمل يمت الى عقيدتهم ولغتهم بصلة، مما دفع الكثير منهم الى الابتعاد عن سلطات محاكم التفتيش[23] .

وعلى الرغم من كل المضايقات ووسائل الترهيب التي استعملتها محاكم التفتيش الا انهم استمروا بممارسة شعائرهم الدينية بسرية فكانوا يؤدون الصلاة في بيوتهم، ويغلقون بيوتهم يوم الاحد موهمين السلطات انهم ذهبوا الى الكنيسة، وكانوا يعقدون حفلات الزواج سرا في بيوتهم بعد اجراءات الزواج في الكنيسة، فأصبحت تقاليد الاسلام موروثة عندهم جيلا بعد جيل[24] .

هذا ما كان بالنسبة للصلاة والزواج وهي من الامور التي يمكن ان تتم في البيوت وبسرية تامة بعيدا عن الاسبان ومحاكم التفتيش، ولكن الصيام والاحتفال بعيد الفطر هي من الشعائر التي لا يمكن اخفاؤها، لان الصيام يحتاج الى رؤية الهلال والتبليغ عنه من شخص لآخر وكذلك في عيد الفطر المبارك، كما ان ايام العيد تقدم فيها التهاني وله اجواؤه الخاصة به، فكيف كانت تتم كل هذه الاجراءات وسط تشديد محاكم التفتيش؟

لم يكن الاندلسيون على استعداد للانصياع لمحاكم التفتيش على الرغم من تحويل المساجد الى كنائس ومنع الاذان والصلاة، ولكن ما كان يجري علانية بات يجري في الخفاء، واستمرت الملابس الغرناطية واللغة العربية، وكان الاندلسي معروفا باسمه المسيحي بين المسيحيين وباسمه العربي بين الاندلسيين [25] .

الا ان ذلك اغاض الاسبان لا سيما وانهم رأوا ان اعدادا كبيرة من المسلمين فضلت البقاء في الاندلس على الرحيل وترك الوطن، فاخذوا ينقضون الشروط التي ابرموها مع المسلمين الى ان نقضوها جميعا، وزالت حرمة المسلمين، وادركهم الهوان والذلة واستطال عليهم النصارى، وفرضت عليهم المغارم الثقيلة وقطع عنهم الاذان واخرجوهم من غرناطة وارغموهم على التنصر كرها ، فصارت الاندلس كلها دار كفر[26] .

اولا / صيام شهر رمضان :

زيادة على كونه ركنا من اركان الاسلام، فالصيام عبادة من اجل العبادات واعظمها ثوابا، اذ اختص الله تعالى بتقدير ثواب الصائم، وفرض الله عز وجل الصيام على المسلمين بقوله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[27]، واختار الله تعالى له افضل الاوقات ليكون محلا لأداء هذه العبادة الشريفة وهو شهر رمضان، اذ اختصه الله عز وجل بعظيم الفضائل الكونية والربانية، فاكثر فيه من الغفران ومحو السيئات واقالة العثرات، ورفع الدرجات ومضاعفة الحسنات، واستجابة الدعوات .

ومن هنا سيكون الموريسكيون امام مشكلة حقيقية بعد سقوط دولة الاسلام في الاندلس، ومضايقات محاكم التفتيش التي تسعى للقضاء على اي مظهر من مظاهر الاسلام والعقوبات التي ستلحق بمن يظهر الشعائر الدينية ستكون قاسية وحاضرة لردع المسلمين وتنصيرهم قسرا .

وفي قصيدة ارسلها موريسكي الى السلطان العثماني بايزيد الثاني مستنجدا به من بطش الاسبان ومحاكم التفتيش، نجد وصفا لحال المسلمين ومعاناتهم امام محاكم التفتيش اذا ما فعلوا ما يمت لدينهم او عروبتهم بصلة ، الشاهد فيها ما قاله [28] :

ومن صام او صلى ويعلم حاله ففي النار يلقوه على كل حالة

وقال فيها ايضا :

وفي رمضان يفسدون صيامنا بأكل وشرب مرة بعد مرة

يتبين من ذلك ان الاندلسيين واجهوا مضايقات عدة بسبب عقيدتهم وممارساتهم الدينية، وتعرضوا لعقوبات قاسية جراء تلك الممارسات التي لا ترتضيها محاكم التفتيش المشكلة ضد المسلمين والتي مارست ابشع العقوبات بحقهم، وصلت العقوبات الى الحرق في بعض الاحيان كما اشار الشاعر بقوله آنف الذكر، او اجبار المسلمين على الافطار في نهار رمضان وافساد صيامهم .

ورغم الممارسات والعقوبات التي اتبعها الاسبان عن طريق محاكم التفتيش ، الا ان المسلمين تمسكوا بدينهم وتعاليمه ومن ضمنها الصيام الذي كان له خصوصية عندهم، ومما اورداه انطونيو دومنغيث اوتيث وبيرنارد فانسون بالقول: ان الموريسكيين كانوا يكرسون انفسهم في شهر رمضان للعبادة والصيام، فكانوا يمسكون عن تناول الطعام خلال النهار مكتفين بتناول وجبة او اثنين ما بين غروب الشمس وطلوعها وكانت هذه الوجبات تتكون بالأساس من فطائر مصنوعة من الزيت والجبن[29] .

وعلى اية حال فالموريسكيين كانوا في كثير من الاحيان يضطرون للإفطار في نهار رمضان خوفا من وشاية النصارى الاسبان عنهم لدى محاكم التفتيش وننقل ما ذكره بدرو لونغاس[30] عن ذلك بقوله : ((اذا اضطر مسلم الى صحبة مسيحي في الطريق لمسافة تقل عن 16 فرسخاً التي لا تبرر الفطر. اذا حدث خلال السفر او عند التوقف في بلد ان حانت ساعة

الغذاء فليعتذر المسلم للمسيحي عن الاكل بكلمات طيبة، واذا لم يتمكن من ذلك فليأكل حتى لا يتعرض لخطر الشكوى، وعليه ان يأكل اقل قدر ممكن– لا ان يبالغ في الاكل والشرب– فقط حتى يحافظ على صحته. ليأكل قليلا وليشرب وعليه ان لا يعود الى الاكل والشرب في ذلك اليوم الا ان ضايقه المسيحي حتى لا يعلم انه يؤدي الصوم. ليكمل يومه وليقض ما فاته عندما يتمكن . وحتى لو كثرت الايام التي يسافر فيها او يصحب المسيحي ...))[30].

ورغم احترام الصيام ومكانته وخصوصيته لدى الموريسكيون الذين كانوا يتحاشون الاختلاط بالإسبان او يردونهم بكلمات طيبة اذا دعوهم الى الاكل او يجيبون بانهم اكلوا قبل ذلك في مكان اخر ، الا ان صيغ الهروب هذه لا يمكنها ان تستمر طويلا[31]. لذا فمن الممكن ان يكون الموريسكيون مضطرين الى الافطار في نهار رمضان تجنبا للعقوبات التي تنتظرهم في حال مخالفة التعاليم النصرانية، او الوشاية التي قد يتعرضون لها من قبل الاسبان اذا ما علموا بمخالفة المسلمين لعقائدهم. لا سيما ان العقوبات التي فرضها الاسبان على الموريسكين الذين يمارسون الشعائر الاسلامية تصل الى الاعدام حرقا[32] .

من عادات الموريسكيين في رمضان ان يكلفوا اشخاصا في احيائهم يجوبوا البيوت عند الفجر ويطرقون الابواب حتى يرد ساكنوها ، لكي يتناولون وجبتهم الاولى (السحور)، ومن عاداتهم ايضا ان يقوم المحتاجين منهم بكسب قوتهم عن طريق ترديد الاناشيد الاسلامية ودعوة الناس الى صيام رمضان[33] .

ولم يكن صيام الموريسكيين مقتصرا على رمضان فحسب فعلى المسلم ان يصوم تطوعا اياما اخرى من السنة، لذا فالموريسكيين كمسلمين كانوا يصومون ستة ايام من شوال والايام البيض الثلاثة من كل شهر وصيام الاثنين والخميس، وصيام عاشوراء، ومحرم[34] .

والذي يتضح من ذلك ان الموريسكيين رغم كل المضايقات والعقوبات التي فرضت عليهم زيادة على غربتهم وقلتهم قياسا بالاسبان، علاوة على استضعافهم، نجد انهم كانوا متمسكين بدينهم وتعاليمه، فلم يفتهم صيام رمضان وكانوا متعاونين فيما بينهم من خلال تبليغ الناس وتنبيههم الى وقت السحور وهي اشبه ما تكون بمهنة (المسحراتي) الذي ينبه الناس قبل اذان الفجر لوجبة السحور، كما انهم كانوا يعينون بعضهم بعضا من خلال تقديم المعونات للمحتاجين منهم كما ذكرنا آنفا .

ثانيا/ عيد الفطر المبارك:

لا تسعفنا المصادر والمراجع التي بين ايدينا في تقديم صورة واضحة عن احتفال الموريسكيين بحلول عيد الفطر المبارك ايام وجودهم في الاندلس، اذ ان المعلومات قليلة جدًا ونادرة الى ابعد الحدود، غير ان هناك نتف من كلمات ونصوص مبعثرة في صفحات بعض

الكتب يمكن لنا من خلالها ان نصل الى معلومة اكيدة فيما يتعلق بطبيعة هذا الاحتفال الذي كان سريًا حينذاك ، حاله كحال صيام شهر رمضان المبارك .

فمن المؤكد انه بعد انقضاء شهر رمضان يستعد الموريسكيون للاحتفال بعيد الفطر المبارك، ولكن هو ليس كالأعياد الاندلسية في السابق فالأمور لم تعد كما كانت من قبل بعد ان بسط الاسبان سيطرتهم على الاندلس وكما ان الاندلسيين يمارسون شعائرهم الدينية بعيدا عن الاسبان ومحاكم التفتيش كان من الضروري ان تكون اعيادهم كذلك. فكانوا يقيمون الاعياد بالخفاء[35] .

وذكر كارديك[36]: ((ان الموريسكيين قد مارسوا وحافظوا على اكبر الاعياد الاسلامية واولها العيد الصغير ويدوم ثلاثة ايام وهو عيد الرحمة:ذلك انه في مثل هذا اليوم تعطى الزكاة للفقراء. ويقع هذا العيد بعد انتهاء شهر رمضان ويطلق عليه ايضا عيد الفطر)) .

من العبادات المرتبطة بعيد الفطر هي الزكاة التي بقي الموريسكيون متمسكون بها ويؤدونها بوقتها، فكان الزوج يؤدي الزكاة عن زوجته حتى لو كانت ثرية، كما يؤديها عن ابيه وامه وابنائه الذكور الصغار وعن بناته حتى يتزوجن، وكان رأس العائلة يدفع الزكاة ايضا عن الاسرى[37] .

الخاتمة

1. رفض المسلمون المنصَّرون قسرا سياسة الدمج التي انتهجها الاسبان النصارى ضدهم، فحافظوا على التعاليم الإسلامية الرئيسة التي ظلت تتوارثها سرّيا العوائل أبا عن جد كصوم رمضان، الاحتفال بالأعياد ، الزكاة، ذبح الحيوانات على الطريقة الإسلامية، الختان، إذ أصبحت هذه العبادات سلاحا يواجه به المورسكيين سياسة طمس هويتهم الدينية والثقافية .
2. لم يترك الاسبان بعد كل ما فعلوه بالمسلمين احرارا في ممارسة شعائرهم الدينية واقامة طقوسهم الاسلامية وعاداتهم وتقاليدهم التي اعتادوا عليها.
3. اجتهد الموريسكيون في مراقبة هلال شهر رمضان سرًا وبحذر شديد، إمّا بشكل فردي أو على مستوى جماعات، اجتهاد دل على حرصهم الكبير على صيام هذا الشهر المبارك لعلّ الله عز وجل يرحمهم و يغفر لهم و يعتق رقابهم من النار.
4. كان الموريسكيين يضطرون في كثير من الاحيان للإفطار في نهار رمضان خوفا من وشاية النصارى الاسبان عنهم لدى محاكم التفتيش .
5. من عادات الموريسكيين في رمضان ان يكلفوا اشخاصا في احيائهم يجوبوا البيوت عند الفجر ويطرقون الابواب حتى يرد ساكنوها، لكي يتناولون وجبتهم الاولى (السحو) .

6. لم يكن صيام الموريسكيين مقتصرا على رمضان فحسب فعلى المسلم ان يصوم تطوعا اياما اخرى من السنة ، لذا فالموريسكيين كمسلمين كانوا يصومون ستة ايام من شوال والايام البيض الثلاثة من كل شهر وصيام الاثنين والخميس، وصيام عاشوراء، ومحرم .
7. ان الموريسكيين رغم كل المضايقات والعقوبات التي فرضت عليهم زيادة على غربتهم وقلتهم قياسا بالإسبان، علاوة على استضعافهم، نجد انهم كانوا متمسكين بدينهم وتعاليمه، فلم يفتهم صيام رمضان وكانوا متعاونين فيما بينهم من خلال تبليغ الناس وتنبيههم الى وقت السحور.
8. كانوا يحتفلون بالأعياد ويقيموها بالخفاء .
9. من العبادات المرتبطة بعيد الفطر هي الزكاة التي بقي الموريسكيون متمسكون بها ويؤدونها بوقتها، فكان الزوج يؤدي الزكاة عن زوجته حتى لو كانت ثرية، كما يؤديها عن ابيه وامه وابنائه الذكور الصغار وعن بناته حتى يتزوجن، وكان رأس العائلة وكبيرها يدفع الزكاة ايضا عن الاسرى .

الهوامش والتعليقات

(1) ابن الاثير: عزالدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ ، تح : عبدالله القاضي ، دار المعرفة ، ط 2 (بيروت، 1428هـ /2007م)، 4/ 561؛ النويري : شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت 733 هـ)، نهاية الارب في فنون الادب ، تح : عبدالمجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1425هـ/ 2004 م) ،24 / 45 ؛ الحجي : عبدالرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ، ط2 (بيروت، 1401هـ/ 1981م) ، ص 39 .

(2) الونشريسي: احمد بن يحيى (914هـ / 1509م) ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب ، تح : محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت ، 1401هـ / 1981 م) ، 2 / 119 – 120 .

(3) ابن الاثير ، الكامل ، 10 / 151 – 152 ؛ ابن بلقين : الامير عبدالله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن مناد (ت 483هـ/ 1090م)، التبيان عن الحاثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة المسمى (مذكرات الامير عبدالله)، تح : ليفي بروفنسال، دار المعارف (القاهرة ، 1374هـ /1955م)، ص 73 ؛ لسان الدين بن الخطيب : محمد بن عبدالله بن سعيد (774 هـ / 1374 م) ، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من كلام ، تح : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1424هـ/2003م) ، 2 / 245 .

(4) طه : عبدالواحد ذنون، اهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الاندلس نموذج تطبيقي عن كتاب العبر، ضمن اعمال الندوة الدولية الموسومة بـ: حضارة الاندلس في الزمان والمكان ، الرباط، 1992م ، ص 138 .

(5) إيبارا : ميغيل أنخيل بونيس، الموريسكيون في الفكر التاريخي ، تر: وسام محمد جزر ، مراجعة وتقديم : جمال عبدالرحمن ، المجلس الاعلى للثقافة (القاهرة ، 2005 م) ، ص 21 .

(6) خديجة: دوبالي ، الفكر الديني عند الموريسكيين الاندلسيين خلال القرنين 16 – 17 ميلاديين من خلال بعض المخطوطات الالخميادية ، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة جيلالي اليابس – سيدي بلعباس (الجزائر ، 2014 م)، ص 38 .

(7) عنان : محمد عبدالله ، دولة الاسلام في الاندلس (نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين) ، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1417ه/1997 م) ، 322/4 .

(8) بشتاوي: عادل سعيد، الاندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الاندلسيين بعد سقوط غرناطة، دار اسامة للنشر والتوزيع (دمشق، 1985م)، ص7 .

(9) مرثيدس : غارثيا ارينال ، محاكم التفتيش والموريسكيون ، تر : خالد عباس ، المجلس الاعلى الثقافي (د.م ، 2004 م)، ص12 ؛ خديجة ، الفكر الديني للموريسكيين ، ص 39 – 40 .

(10) الزوبعي: بشرى محمود، محاكم التفتيش الاسبانية 1480– 1516م، زهراء للنشر (د.م، د.س)، ص18 .

(11) حتاملة : محمد عبده، محنة مسلمي الاندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، مطابع دار الشعب (الاردن، 1977م)، ص55 –56 ؛ السامرائي وآخرون : خليل ابراهيم وعبدالواحد ذنون طه وناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، دار اويا للطباعة والنشر والتوزيع (ليبيا، 2000م)، ص302 .

(12) السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص304 .

(13) حومد: اسعد، محنة العرب في الاندلس، المؤسسة العربية للدراسات، ط2 (بيروت، 1988م)، ص198 .

(14) حتاملة: محمد عبده، التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (1474– 1516م) منشورات الجامعة الاردنية (عمان، 1980م)ص 79؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم، ص 306

(15) بشتاوي، الاندلسيون المواركة ، ص 99 ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص 306.

(16) حومد ، محنة العرب في الاندلس ، ص 271 – 272 .

(17) حتاملة، التنصير القسري ، ص 81 وما بعدها؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص307.

(18) بشتاوي، الاندلسيون المواركة ، ص 96 وما بعدها .

(19) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص 308 .

(20) حومد، محنة العرب في الاندلس ، ص 274 وما بعدها .

(21) المقري: شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م) ، ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض ، ضبطه وحققه وعلق عليه : مصطفى السقا واخرون ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة (القاهرة، 1359ه/1940م) ، 109/1 – 115 ؛ حتاملة ، التنصير القسري ، ص 86 ، 99 ؛ السامرائي واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص 308 – 310 .

(22) عنان ، دولة الاسلام ، 324/4 وما بعدها ؛ حتاملة ، التنصير القسري ، ص 86 .

(23) الحجي : عبدالرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ، ط2 (بيروت، 1401ه/1981 م) ،ص 570 وما بعدها ؛ السامرائي واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص 308 .

(24) السامرائي واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم ، ص 308 ؛ حتاملة ، التنصير القسري ، ص111 – 112.

(25) بشتاوي، الاندلسيون المواركة ، ص 128 .

(26) المقري، ازهار الرياض ، 1 / 68 – 69 ؛ الحجي ، التاريخ الاندلسي ، ص 570 .

(27) سورة البقرة، الآية : 183 .

(28) المقري ، ازهار الرياض، 1/ 109 – 115 .

(29) اورتيث: انطونيو دومينغيث و فانسون: بيرنارد، تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة اقلية، ترجمة: محمد بنياية، مراجعة: زينب بنياية، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة مشروع كلمة (الامارات، 1434هـ/2013م)، ص149 .

(30) لونغاس: بدرو، حياة الموريسكيين الدينية ، ترجمة : جمال عبدالرحمن، المركز القومي للترجمة (القاهرة ، 2010 ، ص 207 .

(31) كارديالك: لوبى، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية (1492– 1640) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بامريكا، ترجمة: عبدالجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية (تونس، 1983م)، ص25.

(32) دويدار : حسين ، المسلمون المدجنون في الاندلس ، مطبعة الحسين الاسلامية (القاهرة ، 1414 هـ / 1993 م) ، ص 39 ؛ حتاملة ، التنصير القسري ، ص 60 .

(33) لونغاس ، حياة الموريسكيين الدينية ، ص 209 .

(34) اورتيث وفانسون، تاريخ الموريسكيين،ص149–150 لونغاس، حياة الموريسكيين الدينية،ص210–112

(35) عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، 4 / 379 .

(36) الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون ، ص 34 .

(37) لونغاس ، حياة الموريسكيين الدينية ، ص 226 .

المصادر والمراجع

أ. المصادر:

1. ابن الاثير : عزالدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم (ت 630 هـ) ، الكامل في التاريخ ، تح : عبدالله القاضي ، دار المعرفة ، ط 2 (بيروت ، 1428 هـ / 2007 م) .

2. ابن بلقين : الامير عبدالله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن مناد (ت 483 هـ / 1090 م) ، التبيان عن الحاثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة المسمى (مذكرات الامير عبدالله) ، تح : ليفي بروفنسال ، دار المعارف (القاهرة ، 1374 هـ / 1955 م) .

3. لسان الدين بن الخطيب : محمد بن عبدالله بن سعيد (774 هـ / 1374 م) ، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من كلام ، تح : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1424 هـ / 2003 م) .

4. المقري : شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م) ، ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض ، ضبطه وحققه وعلق عليه : مصطفى السقا واخرون ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة (القاهرة ، 1359 هـ / 1940 م) .

5. النويري : شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت 733 هـ) ، نهاية الارب في فنون الادب ، تح : عبدالمجيد ترحيبي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1425 هـ / 2004 م) .

6. الونشريسي: احمد بن يحي (914هـ/1509م)المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب، تح: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1401هـ/1981م)

ب المراجع :

1. اورتيث: انطونيو دومينغيث و فانسون بيرنارد، تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة اقلية، ترجمة : محمد بنياية، مراجعة: زينب بنياية ، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة مشروع كلمة (الامارات، 1434هـ/ 2013م) .

2. إيبارا: ميغيل أنخيل بونيس، الموريسكيون في الفكر التاريخي، تر : وسام محمد جزر ، مراجعة وتقديم : جمال عبدالرحمن ، المجلس الاعلى للثقافة (القاهرة ، 2005 م) .

3. بشتاوي : عادل سعيد، الاندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الاندلسيين بعد سقوط غرناطة ، دار اسامة للنشر والتوزيع (دمشق ، 1985م) .

4. حتاملة : محمد عبده ، التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (1474 – 1516 م) منشورات الجامعة الاردنية (عمان ، 1980 م) .

5. حتاملة : محمد عبده ، محنة مسلمي الاندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، مطابع دار الشعب (الاردن، 1977 م) .

6. الحجي : عبدالرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ، ط2 (بيروت ، 1401هـ/1981م) .

7. حومد: اسعد ، محنة العرب في الاندلس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 (بيروت، 1988 م).

8. خديجة : دوبالي ، الفكر الديني عند الموريسكيين الاندلسيين خلال القرنين 16 – 17 ميلاديين من خلال بعض المخطوطات الالخميادية، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة جيلالي اليابس – سيدي بلعباس (الجزائر ، 2014 م) .

9. الزوبعي : بشرى محمود ، محاكم التفتيش الاسبانية 1480 – 1516 م ، زهراء للنشر (دمشق ، د.ت) .

10. السامرائي وآخرون : خليل ابراهيم وعبدالواحد ذنون طه وناطق صالح مطلوب ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، دار اويا للطباعة والنشر والتوزيع (ليبيا ، 2000 م) .

11. طه : عبدالواحد ذنون ، اهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الاندلس نموذج تطبيقي عن كتاب العبر ، ضمن اعمال الندوة الدولية الموسومة بـ: حضارة الاندلس في الزمان والمكان ، دار الغرب (الرباط ، 1992م)

12. عنان : محمد عبدالله ، دولة الاسلام في الاندلس (نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين) ، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1417هـ/1997م) .

13. لونغاس: بدرو، حياة الموريسكيين الدينية ، ترجمة : جمال عبدالرحمن ، المركز القومي للترجمة (القاهرة، 2010) .

14. مرثيدس : غارثيا ارينال، محاكم التفتيش والموريسكيون، تر : خالد عباس، المجلس الاعلى الثقافي (القاهرة، 2004 م) .

One of the most established worship in the life of the Moriscos Ramadan fasting and Eid al-Fitr "Historical study"

Assist. Prof. Dr. Qabas Farouk Saleh matloob

College of Education for Human Sciences/Tikrit University

kab.faroq@yahoo.com

key words : Andalusia، the Moriscos، the Inquisition، Christian Spain.

Summary :

Through this subject I will، on the plight of Muslims range of long-lived long in the land of Al-Andalus، which was a Muslim for eight centuries (92_897 AH / 1492 AD). The Spaniards defeated the Christians in the year (897 AH / 1492) Vsamoahm mistreated and forced them to perform the rites of Christian belief and disbelief Kaltnasr and triangulation and eating pork and drinking wine and call people names Christianity and Christian Bass outfit. It also forced them to repudiate the convictions of all Muslims، and to abandon Islamic manifestations of the phenomenon of them and inward. They judge the whole of otherwise or burned to death by hanging or life imprisonment or the temporary or confiscate funds، and other severe sanctions that were to contain the list of terrorism Christian notorious known throughout history in the name of the Inquisition .

Christians Spaniards have dubbed this sect of Muslims who remained in their hands after falling Andalus name (Almaurickjon Moriscos) any young Muslims to distinguish them and Tsgara of their business، as they call name new Christians Cristianos nuevos .

As we will discuss the study and analysis of the lives of these helpless people on their heads، and those who have lived in their own land and Mstqarham Knsary outwardly and inwardly Muslims. We will focus primarily on the basis of the fasting month of Ramadan، Eid Al-Fitr and celebrate the fact that the two most deeply rooted in their lives Alebadtin، and being more cult keeps them all، they are so different in terms of the appearance of an Islamic vanishing and finish in Andalusia at the time. We will try to answer some questions and inquiries، which revolve in the mind of the reader to the history of this group of Muslims and were starving the severity of the plight for the fasting month of Ramadan، Eid Al-Fitr celebration is to label them hurt Christians and harsh judgments، and ignored by ignoring sight by many historians and researchers .